ثلاثة آراء في ... «خمسة أصوات»

بقلم : جليل كمال الدين

لا يمكن للمتتبع للقصة العراقية والعربية المعاصرة ان يكتب دون الهتباط عن هذه الروايات والقصص العربية التي صارت تطلع في السنين الاخيرة . ان نمط التطور واضح ، ناهيك عن المعاصرة والحداثة . كثيرون يحاولون تمثل روح العصر ، وانتهاج الاسلوب الواقعي ، وتجنب مزالق الواقعية ، خصوصا منها النقدية ، بل والاشتراكية ايضا .

وتأتي رواية غائب طعمة فرمان ، القاص العراقي المثابر ،والمقترب في موسكو (اسقطت عنه الجنسية عام ١٩٦٣ ـ ولم ترجع له ـ مع الاسف ، حتى الآن ..) تقول تأتي رواية فرمان «خمسة اصوات»(*) فتحتل محلها اللائق بها ، عن جدارة واستحقاق ، في صفوف الرواية العربية المعاصرة ، ومع ذلك وبسببه ـ في صفوف الرواية العراقية المعاصرة ايضا .

سيقال لي على الفور : هل تقف (خمسة اصوات) في مستوى (ميرامار) لنجيب محفوظ ؟ وهل تقف هاتان الروايتان في مستوى الرواية العالمية المعاصرة ، او في مستوى الاحداث في واقعنا العربي المعاصر ؟ ثم ما هو الجديد الذي اتت به روايـة فرمان (خمسة اصوات) بالنسبة له ولفنه ، وبالنسبة للرواية العربية الحديثة ؟ ومثل هذه الاسئلة تفترض اسئلة اخرى من قبيل : ماذا اراد ان يقول لنا القاص ؟ هل تطور ، وبم يمتاز تطور فنه ؟ بمن تاثر ؟ عم حكى ، ولاي شيء هدف ؟ وما هو المحصول ؟

* * *

الجديد الذي اتت به الرواية هو ان فرمان قد تطور تطورا كبيرا في فنه القصصي . قل عنده الوعظ والشعارية والهتافية ، وانعدم عنده او كاد الحشر والاقحام والتكلف وما اليه . ارتفع عنده اكثر فاكثر صوت الحياة ، وصوت الفن ، دون ان يضيع عنده صوت الالتزام الواعي ، الحر ، المتطور . كل هذا هو شيء كبير بالنسبة الى صاحب (حصيد الرحى ـ مجموعة قصص هزيلة صدرت له في الخمسينات) و (مولود آخر ـ مجموعة قصص تتمتع بعافية اكبر من سابقاتها وان ظلت تعظ على نحو بائس) . بل هي متطورة حتى عن (النخلة والجيران ـ رواية صدرت للقاص عن المكتبة العصرية في بيروت في ١٩٦٦ ، كتبنا عنها تقييما في مجلة « العلوم » البيروتية، في وقتها) .

والجديد الذي أتت به الرواية ايضا هو انها وقفت ، لاول مره كرواية عراقية جديدة ، على قدمين ثابتتين ، رغم انها افادت من تكنيك الرواية الحديث . فالواقع العراقي المعاصر (عن ما قبل تمـوز ، وبالضبط عام ١٩٥٤ وبعيده) مصور ، لاول مرة في العراق، وباللغة العربية ، على نحو فني معافى تقريبا .

* * *

نستطيع القول ان غائب فرمان اتجه اتجاه الرواية الواقعية ، وبنى اولى بناياتها في الفن القصصي الواقعي في العراق . ولعله من المفيد للقارىء ان يعرف ان القاص قد تدرج وتطور في مناحي ثقافته الفنية ومنحنياتها . قال الشعر ، واشتغل بالصحافة (بل هو الصحفي ـ الكاتب سعيد ، بالذات ، في الرواية التي نتحدث عنها « خمسة اصوات ») ، ودرس في كلية الآداب ببغداد والقاهرة ، واشتغل بالترجمة من الانكليزية الى العربية ، ثم من الروسية الى العربية في موسكو ، وقرأ كثيرا من الادب الفني بالعربية والانجليزية والروسية ، وقد درج مدارج الاربعين الآن (ولد في عام ١٩٢٦) . انا اذكر كل هذا ، ليكون القارىء على بينة من روائيه الذي نقدمه في عمله الروائي الثاني . وواضح ان لكل هذا الذي ذكرنا دخله وتأثيره الكبير في واعية وكامنة ، وتطور ، وذهنية ، وبالخصوص في روايات كاتبنا . ثم ان الاغتراب دخله ايضا (القاص غادر العراق في ١٩٦٠) ، ولنسن ايضا تأثيرها . الفروض ـ وهذا ما هو واقع ـ ان كاتبنا ناضج في فنه القصصي والروائي ، متمكن من عدته الفنية ، وهذا يعني اننا والقارىء محقون في مطالبته بما يوجب ذلك ومـا يلزمه من التزامات وعطاء .

ماذا تقول لنا « خمسة اصوات » ؟

في مجال الفن تقول انها تتمتع بكثير من العافية ، وبشفاء كاتبها، تقريبا ، من آثار المفهوم الميكانيكي ، غير الديالكتيكي للواقعية نهجـا وطريقا . وهي تقول انها مرحلة في تطور فن الكاتب القصصي بل وفي هذا الفن في العراق ايضا .

بقي ان نقول ان الكاتب غير مذنب اذا جاءت الرواية متفجرة فيها كثير مما يستطيع بعض من لم يعش العراق او يعايشه على الاقل في الخمسينات ان يسميه (سياسة واجتماعا) . في رأيي ان الكاتب لم يستطع تخطي الواقع وتجاوزه . بالطبع لا يعد هذا نسخا او طبيعية مما تقول به المدرسة الطبيعية وسواها ، ولكنه نوع مـن استشراف الواقع بالذات وعيشه عيشا خصبا (واركز على كلمة « خصوبة ») . الرواية تتحدث عن جيل يحاول الاكتشاف ، اكتشاف نفسه،واكتشاف وطنه وموقع وطنه في العالم ، وهذا الجيل مثقف يقرأ ويناقش ويحلل ويستنتج ، ويبكي ، ويضيع ، ويلهو ، ويشرب الخمر كثيرا ، ويتـوق الى السفر ، واكتشاف الوطن والعالم . قبل كل شيء هو جيـل يحاول ، على نحو دائب ، متمزق في اكثر الاحيان ، متناقض بعـض الشيء ، ان يعرف نفسه . السياسة ترسم له طريقا ، والاجتمـاع يخطط له والوطنية والطبقية والحس الطبقي ، والتراث الحـديث والقديم .. كل هذا في واعيته وكامنته (الكامنة هي اللاوعي ، فـي اصطلاح سلامة موسى) .

واضح منذ البداية ان الكاتب تأثر بسارتر ومدرسته ، وغوركي، وفولكنر ، وهمنغواي ، وموراڤيا ، وقبلهم بدوستويفسكي وغوغـول وتورغينيف . لا نقول بذلك ، لانه جاء في تضاعيف الرواية غير مرة (في تصوير فيضان دجلة والتذكير بوصف فولكنر لفيضان المسيسيبي، او في قراءات عبد الخالق وسعيد لغوركي وغوغول ودوستويفسكي . نشير مثلا الى ما وجد في مكتب سعيد في الجريدة « .. كان فـي مكتب سعيد « أسرة ارتامونوف » باللغة العربيـة ، و « قصـص لتشيخوف » بالانكليزية و « سقوط باريس » والمجلد الرابع مـن « العقد الفريد » مستعارا من احدى المكتبات . و .. و « لمن تـدق الاجراس » و « تورتيلا فلات ... » .. او في مناقشات الخمسة

(*) منشورات دار الاداب ، بيروت .

الدائمة) ، انما نريد القول ان تأثرهم كان اسلـــوبا ونهجا . فهو يسخن اشخاصه ابدا ، كما يفعل دوستويفسكي ، ويستنطقهم الحقيقة وهم مخمورون او متوترون . وهو لا يتورع عن اوصاف دقيقة لما هـو وسخ ومنبوذ وقذر ومحرم ذكره ، كما يفعل غوغول ، ومن ثم سارتـر (نشير الى ما يفعله الشاعر ، وما يتصرف به ، واجواء العاهـرات وسواها) .

ولكن هذا شيء واستلهام الواقع العراقي في الفترة المحـددة (٥٤ ـ ١٩٥٥) شيء آخر . ان المطالعة والتأثر تغني ولا تمسخ ، اذا ما كان القاص متمكنا من فنه ، ومن مفهومه الديالكتيكي للواقعيـة والحداثة والمعاصرة والالتزام .

في تكنيك الرواية مفارقة لمحتواها . لا ادري لماذا اصر الكاتب على ان تخرج روايته بهذا الشكل مقسمة فصولها الى مـــا سمي بـ « اصوات » ! ربما تصور هذا تجديدا (بمقدار ما ياتي الشعـراء الحديثون في العراق وسواه بتجديدات استحقت كثيرا من الضجيج والثناء ثم تقبلها الراي العام الادبي اخيرا) . ولكن هذا ليس بتجديد هنا . انا اخالف القاص في ان يقدم روايته الى القارىء وفصولهـا مجرد اصوات تتناوب ، ويا ليتها تناوبت فعلا او كـان ما يسمـى (بالصوت الاول) او (الخامس) يتحدث فعلا في كل حديثه او جله على الاقل عن بطله وصاحب صوته . الذي حصل ان هذا كان، فعلا، في الفصول الخمسة الاولى ، حين تحدثت هذه الاصوات واصحابها ، ثم تعثر الامر ، فكانت الاصوات كلها او اكثر من نصفها ، على الاقل ، تتحدث في كل فصل تال ، ناهيك عن اصوات ثانوية لعبت ادوارا لا اقل مما لعبتها الاصوات الاصيلة (مثلا نشير الى زوجة حميد التي ظهرت كثيرا ، وعميقا ، في اكثر من فصل ، محتلة ، بذلك ، اكثر من « صوت » بل ان الصوت الاصيل احيانا يتوارى وراءها ، كما حدث مع الصوت الاول الذي تقدم للقارىء ، منذ بداية البداية ، باعتباره متوجها الى زوجة حميد اثر رسالة منها الى الجريدة .. ولربما كان الكاتب يريد ، بذلك ، ان يبرز صوت المراة ، باعتبارها نصف المجتمع ، ولكن لماذا لم يفرد لها صوتا خاصا ، ان كان يريد ان تتم اللوحة على نحو واقعي شامل ؟ ثم لماذا هذا الحديث عن المراة في مجتمع مثقفي بغداد في الخمسينات وبهذا الشكل ؟ صحيح ان المجتمع رجالـي ، تسوده مفاهيم الرجل باستمرار ، وعلى نحو تحكمي ، ولكن كـان بالامكان ان تتحدث المراة صوتا اصيلا ، عارضة مشكلتها خلال وضمن المشكلة العامة ، مشكلة المجتمع ، كما عـرض المثقفون الخمسـة مشاكلهم) .

لو فصل الكاتب روايته فصولا لكان اقرب الى ما كان يريد ان يقول . صحيح انه ختم الرواية بالاصوات جميعا ، تتحدث معا ، وهذا شيء جديد على الرواية العراقية بل والعربية عامة . ولكن الـذي حدث ، هنا ، ايضا ، ان الاصوات جميعا تحدثت على انفراد ، كـلا باستقلال وانفصال عن الآخر . لم يعجبني هذا الفصل التعسفـي ، فالمفروض ان الرواية ذات بطل ، والبطل هو واحد . ولكن هنـا لا ندري اين البطل . كل في الرواية هو بطل له مشاكله ، وواقعه الذي يشارك فيه الاربعة الآخرين ، وله ما يفصله عنهم الى حد . فهل اراد الكاتب ان يقول ان الرواية هي لكل هذه الاصوات معا ؟ اذن ، لم هذا الفصل وهذه التسميات ، التي لا تقف طويلا ، « اول » و « ثان » و « ثالث » الخ. ثم لماذا هذا الخوف من التقسيم العادي الى فصول (ذات ارقام مكتوبة بايما شكل : « الفصل الاول » او « ١ ») ؟ واذا كان البطل هو المجتمع كله ، معا ، بكل قطاعاتـه ، فلماذا هـذا التركيز وهذا الالتزام بهذا التكنيك في السرد والعرض الروائي ؟ وهل انه لا يمكن تصوير المجتمع ومشاكله ، والفترة ومميزاتها ، بتقسيم عادي ؟ في رايي ان المعول هو على المحتوى قبل كل شيء ، والتكنيك والشكل متفاعلان معه على نحو عضوي ـ وظيفي ، هو يفترضهمـا ، اساسا ، وهما يؤثران فيه ويتاثران به ، على نحو ديالكتيكي ، مقنع..

ثم اين هو الخيط الرئيسي ؟

هل الخيط الرئيسي هو تصوير مثقفي العراق في تلك الفترة ؟ ام تصوير واقع الكاتب والصحفي العراقي ـ البطل الاول في الرواية، وهو « سعيد » الذي هو ، على وجه الدقة ، غائب طعمة فرمان نفسه ـ في تلك الآونة ، وخلل تلك الشروط ؟ ام هو تصوير العراق كله ، والفترة تلك بالذات ، خلال تصوير واقع مثقفي العراق فيها ، او واقع الكاتب الصحفي بالذات فيها ؟ ام انه كل هذا وكل ذاك ؟!!

ان تصوير الواقع في تطوره الثوري يقتضي فيما يقتضـي ان يصور العام من خلال الخاص ، يقتضي تصوير النموذجي ، وهـذا يعني انتقالات ديالكتيكية من الخاص الى العام ومن العام الى الخاص ومن خلاله . كان يمكن ان تكون الرواية تصويرا لواقع وتطور وحيـاة سعيد ، بطل الرواية الاول ، الذي به تبتدىء وبه تنتهي . ولكن الذي فعله الكاتب هو انه صور واقع خمسة من المثقفين الاصدقاء المتحلقين في حلقة واحدة ، بالضبط حول مائدة شراب واحدة هم « حميد » ـ الموظف في احد البنوك ، و « ابراهيم » المحرر المسؤول في جريدة دمقراطية في عام ١٩٥٤ (لعله عبد المجيد الونداوي ، وقد كان رئيس تحرير جريدة « الاهالي » التي يسميها الكاتب في الرواية «الناس»)، و « سعيد » الكاتب الصحفي المشارك في تحرير الجريدة (هو بالضبط الكاتب الروائي نفسه غائب فرمان ، وقد كان فعلا يعمل في الجريدة المشار اليها في تلك الفترة ، وفي الاختصاصات والابواب التي تتحدث عنها الرواية ، بالذات ، و « عبد الخالق » الملاحظ في دائرة،والحقوقي المثقف ، الذي يقرأ بالانكليزية (وهو على وجه التحديد القاص عبد الملك نوري ، صديق المؤلف) ، و « شريف » المحرر الثالث في نفس الجريدة المشار اليها ، والشاعر البودليري الذي يهيم بالمراة (وهو الشاعر حسين مردان ، وقد حرر في الجريدة فعلا في تلك الفترة). اذن فالشخصيات الخمسة شخصيات واقعية بمعنى وجودها الفعلي الشخصاني في مجتمع معين (كلهم ، بالمناسبة ، احياء يرزقون) . وتاريخ هذه الشخصيات الخمسة ، فعلا وواقعا ، هو تاريخ كل واحد منهم ، وتاريخهم كلهم مجتمعين . ولكن اين النموذجي هنا ؟ ليس الشاعر « شريف » هو مثال (بمعنى نموذج الشعراء جميعا او الشعراء « المثقفين الديمقراطيين » كما جاء في الرواية) ، فهو شاعر مـن طراز خاص ، على طريقة بودلير (هكذا يحلو له ان يعيش ويعـايش ويكتب ، وهكذا يريد ان يكتب عنه) ، فيما كان من شعراء تلك الفترة، ولا زالوا (احياء عاصروا المؤلف وكاتب السطور وتقدموهم في العمر وفي اكثر من معنى) ، الجواهري الكبير والبياتي وكاظم جواد والسياب (الوحيد الذي غادرنا راحلا في ١٩٦٥) ، وهؤلاء جميعا (ويمكـن ذكر غيرهم) ، وكل واحد منهم لا ينمذج نفسه (ان صح التعبير ـ اي لا يجد نموذجه) في « شريف » . واذا كـان « عبد الخالق » و « سعيد » ينمذجان المثقف الديمقراطي والكاتب التقدمي الـذي يستهدي بالماركسية (كما كان كتاب « الثقافة الجديدة » و « صـوت الجماهير » ، وهما مجلتان فـي تلك الفترة) ، فان « ابراهيم » لا ينمذج كل الصحفيين ، انما هو يرمز ، ويقدم بنفسه ، قطاعـا خاصا من الصحفيين ، وهو ، قبل ذلك وبعده ، يكتب ويعكس مـا يريده مسؤولو الجريدة ، وهي لسان حال الحزب الوطني الدمقراطي. فلماذا لم يقدم الكاتب اصواتا اخرى لقطاعات اخرى من المثقفيـن العراقيين (فقد كانت هناك مجلة « الرسالة الجديدة » وجرائـد اخرى قومية ووطنية ، عربية وكردية) ؟ ربما كان الكاتب يريـد ان يعكس ما يقوله الاصدقاء الخمسة ، الرموز الخمسة لمثقفي العـراق (التقدميين بالذات) هموم المجتمع كله ، وهموم مثقفي العـراق جميعا ؟ الكاتب هنا لم يفلح تماما . فان القطاع الذي صوره كان محدودا ، وضيقا ، هو قطاع المثقفين التقدميين ، وبالضبط فهم اصدقاء المؤلف وبالذات سماره في المشرب . فهل كان تصوير حيوات وتطورات هؤلاء الخمسة الاصدقاء ، في تلك الفترة القصيرة ، هـو غاية الكاتب من روايته ؟ ممكن . وممكن اكثر ان يستطيع الكاتب ، لـو اوتي الاستشراف الرحب ، والتوغل النافـذ ، والجراة الواثقة ان

يصور هموم مثقفي وشعب العراق كله من خلال هؤلاء . فليست ثمة شروط قوالبية أو وصفات في التصوير الفني . ولكن هل أوتي الكاتب هذا ؟ ثم أين وضع الخيط الرئيسي في روايته ، وكيف تقدم به الى القارىء ؟

فيما أرى ـ الخيط الرئيسي في الرواية هو تصوير علاقات وحيوات هؤلاء الخمسة الاصدقاء ، ومن خلالهم تصوير واقع مثقفي عراق تلك الفترة . وهذا أمر جريء ، بل هو ، فيما أرى ، صعب وشائك ودقيق ، لانه يتطلب قدرات خاصة أشرت اليها .

وللوهلة الاولى تبدو الرواية ضيقة الافق جدا ، تحكي علاقات ما حدث وحصل في حيوات خمسة من المثقفين الذين يجلسون اكثر الليالي ازاء مائدة خمر واحدة . لكن الاحداث الموضوعية وعلاقاتها بالشروط الذاتية لاربعة من الشخصيات ، تعطي للرواية طابعا واقعيا، اي تصويرا نموذجيا ، لقطاع من الواقع ، ثم للواقع عموما في تطوره الثوري . « سعيد » يتطور ، وينمو ، من خلال عمله الصحفي واستجابات الناس لثمرات عمله وما يكتب ، ومن خلال مطالعاته غوركي ودوستويفسكي وفولكنر وسواهم ، ومن خلال مزاملته زميليه في التحرير (ابراهيم وشريف) ، وقبل ذلك من خلال مزاملة متتلمذة لصديق قاص هو عبد الخالق . و « شريف » يضطرب في أرجاء بغداد جاريا وراء المرأة ، وصنوف الجمال ، واللذة ، ثم يحاول أن يغادر الربع الى عمل في شركة . « ابراهيم » الذي يمتاز برصانة ، ومرونة لا أقل منها ، يؤدي رسالته ، صحفيا دمقراطيا ، ويعارك الرجعية والاستعمار ، ويتزوج ويعاني في زواجه بعد اغلاق الجريدة الذي عنى التشرد للمحررين الثلاثة (سعيد وشريف وابراهيم) . نوري السعيد يغلق الجريدة ، بعد أن يعلن نظاما ارهابيا أسود ، هو مقدمة لحلف بغداد سيىء الصيت وتمهيد له . ومن نتائج هذا النظام الارهابي وتضاعيفه أن تعلن قوائم الفصل بالجملة ، فيفصل « عبد الخالق » أيضا (لم تشر الرواية الى قصصه وكتاباته ، بالرغم من انه قاص ممتاز من قصاصي تلك الفترة ، ولعل الكاتب عذرا انه كان يرى العالم كله من خلال الجريدة التي كان يحرر فيها) .

ومما يعطي للرواية بعدا انسانيا ، وشحنة واقعية ، يقيدها الى الحياة وماجرياتها ، بحيث تكون اشمل مما هي ، وبحيث تتوغل اكثر مما كان عليه لو اكتفت بالصحفيين الثلاثة وصديقهم « عبد الخالق » ... تصوير مشكلة « حميد » وأزمته مع زوجه وكيف انتهت . فهنا ليس النظام متهما بقدر ما هو طراز عيش حميد (موظف في بنك ، ميسور الحال ، يسكر يوميا ، يرى الحياة مهزلة وملهاة ، يترك أطفاله مرضى وزوجته تعاني من الوحدة سنين عددا ، فتنشأ علاقات لها مع « بوسطجي » هو « ستار » ، وتنهد الى « سعيد » المحرر وصديق زوجها ، في رسالة ، وبتوقيع مستعار ، ترجوه أن يستعمل تاثيره على زوجها ليكف عن الشراب وينصرف الى عائلته ، فيفشل سعيد ويستمر حميد فيما خطط لنفسه . تنهار العائلة ، يموت الاولاد واحدا بعد الاخر . يطلق حميد زوجته بعد أن فقدت آخر عزاء . يدمن الخمر ، تاركا عمله) . هذا البعد في الرواية احتفظ لها ببعض التوازن والعافية ، فجاءت اشمل وأكثر توغلا .. بحثت مشكلة المرأة في المجتمع العراقي والعربي (يقول « ستار » ، وهو الذي سيتزوج فيما بعد ، مطلقة « حميد » ، يقول لسعيد ، في ختام الرواية : « انا وانت انقذنا امرأة شابة من موت مؤكد . أنقذناها من رجل كان يدوس على مخانيقها . الان تذكر امراته ؟ من قبل كان يطلع من الصبح ويجي نص الليل . تتمرض وأولادها يموتون ، ولا يهتم . الان عرف زوجته ؟ كانت عنده خدامة لا زوجة. وتقبل مروءتك ؟ وأنت كاتب ديمقراطي . كان شايفها نعجة يتصرف بها كما يريد ... » .

وعلى العموم ، يمكن القول ، بتحفظ لا بد منه ، ان الكاتب قد استلهم مبدأ « الجوقية » أو ما يسميه البعض « بالجماعية » أو (اللوحات الجماعية) في التصوير ، وهو ما نجده في ما مضى عند ليون تولستوي الكبير ، والان عند شولوخوف . وهو شيء قريب من الملحمية ، يضيع فيه الخيط الرئيسي بالمعنى المفهوم ، ولا يكون فيه بطل بؤرة واحد ، بحيث يكون هو المحور . لكن تولستوي اذا أفلح في (الحرب والسلام) ، وشولوخوف اذا وفق في (الدون الهادىء) .. فان هذا لا يعني ان كل من يستلهم مبدأ الجوقية يوفق ، وخصوصا في رواية عربية حديثة لا زالت قدمها غير راسخة رسوخ الرواية العالمية المعاصرة . لقد تعثر كاتبنا ، ففلت منه الخيط الرئيسي غير مرة ، وكان خيرا له لو صور أحداث تلك الفترة كما انعكست على واقع وتطور وحياة البطل الرئيسي الواحد ، وهو الكاتب نفسه (سعيد) . فان هذا لم يكن ليمنعه من أن يصور أصواتا أخرى ، ويستمع الى عديد من الاصوات الرئيسية والثانوية ، دون أن يخل بمهمته ، وهي تصوير واقع تلك الفترة في تطوره . الكاتب يتعثر ، ويستطرد كثيرا ، فبينما هو المقصود أن نفهم ماذا يجري للكاتب الملتزم ، وماذا يجري للعراق في ظل وزارة الجمالي (وزارة « ليبرالية » زائفة في خدمة النظام الاستعماري الملكي ، اذا بنا نتساق وراء الكاتب فترات غير قليلة من الوقت نتابع نزوات شاعر شبقة في تلونها ونزولها وصمودها ، ومثل هذا الاستطراد والخروج غير قليل . صحيح ان هذا يلون الرواية بتلاوين رحبة ، ويغنيها بآفاق (المفروض انها أرحب) ، لكنه يشتت انتباه القارىء تماما ، بعض الاحيان ، فاذا به لا يفهم أهي قصة سعيد أم قصة زواج ابراهيم أم قصة هذا الشاعر أم قصة حميد وامرأته المأساوية أم قصة عبد الخالق ولحظاته التي تعكس أبدا آثار ثقافته .

ان هذه الصورة العريضة ، اذا جاز لنا التعبير ، قد تجوز في الشعر (بل هي تجوز في الرواية كما سبق أن قلنا) ، ولكنها عن كاتب يريد أن يقول كل ما يريد في تعجل ، كاتب ولج باب الرواية حديثا جدا ، بل هذه هي أولى ضرباته وبناءاته في رحابها ، تزيغ وتلتوي ، وتغمض ، فاذا بالعرض يستحيل الى ضيق ، واذا بالغابة تتسع وتتسع فلا نرى أشجارها .

* * *

وما هي الحلول التي تقدمت بها الرواية لجيلها الضائع ؟

ثم لماذا هو جيل ضائع (وحتما اننا رأيناه متعلما ، مثقفا ، وبعضه بهدف) ؟

سيعترض البعض : لم هذه الاسئلة ، والرواية من بدايتها الى نهايتها نضال في نضال ، تبدأ به ، وتشير اليه ، وتنتهي وتختتم به ؟!

بالطبع لا أعترض على هذا ، لانه بعض العطاء الايديولوجي الذي تأتي به الرواية . ولكن الضياع يسربل الرواية تماما . وهو ضياع ليس الابطال الخمسة ، ولا من أرتبط بهم من قريب ومن بعيد (من آل وأهل وأصدقاء) بمسؤولين عنه تماما وفي كل الاحيان . ان « قطيع الخيول المستأجرة » يدير « الطاحونة الاجتماعية » التي هي الدولة بنظام عميل . وبغداد تغرق في فيضان يحاول بعض الحاكمين تحويل دماره الى مزارع معارضيهم . و « بغداد مباحة للاميركان » ، والشعب ، بعد كل هذا ، مضطر أن يعيش « كل عمره في السياسة » على حد قول الشاعر « شريف » . مجلس النواب يحل ، اثر فوز ١٢ نائبا من نواب الجبهة التي ضمت وطنيين ودمقراطيين وقوميين . الاجراءات تغلق ، الا ما كان منها بوقا . السجناء السياسيون الشبان يذوون ويموتون بعيدا في الصحراء . سل العظام يفتك بوالد الكاتب . فتيات يسقطن ، وأيام متساوية مثل بعر الاغنام . عوائل تنهار ، أطفال يموتون ، وتغرق المدينة في طمى دجلة ، وخمر « جرجيس » . « نفوس ميتة » على حد تعبير غوغول ، ونفوس حية تضطرب ، ولكنها ميتة دون آفاق أو خلاص !

أجواء كئيبة جدا ، لعلها ستوحي للبعض باتهام الكاتب بانسياقه

وراء (المدرسة الطبيعية) . ولكن لا . ان الواقع كئيب ، والشعب يصدم يوميا ، ويتالم يوميا ، ولا بد لقصة تحكي حياته ، او حياة بعض من مثقفيه ، ان تحكي هذا الالم الكبير ، المعلم ، والاستاذ . بقي أن يحول هذا الالم الى طاقة جبارة ، وان تحول هذه الشكوى او الشكاوى التي كان يلخصها (سعيد) في « بابه » في الجريدة « وكانه يرسم بسطوره القليلة المختزلة صورة عالم لا سلطان لنوري السعيد عليه ، عالم سفلي يدور في فلك المصائب والالام ، ويعيش على الشكوى ، وبتنفس زفراته ويشرق بدموعه ويحاول ان ينقل الى العالم العلوي ، عالم المشاريع والاستفتاءات ، صوته الحقيقي المنبعث من القلب » .. ان يحول هذا الى نار تحرق وتضيء ، تحرق المهترىء المتشبث بكل صورة بالحياة ، وتضيء الطريق للنامي المنتج الذي له المستقبل والحياة .

بالطبع الرواية لم تقل بفوز الشعب وكادحيه ومثقفيه . وحسنا فعلت . فالايحاء والاشارة ، والاقتناع الذاتي هو بعض ما يجب ان تهدف اليه الرواية الحديثة . « سعيد » يفر الى سوريا ، ينخرط في التدريس ، أما « عبد الخالق » فيبقى . اليك هذه اللوحة الواقعية الموارة : كان عبد الخالق وسعيد يتحاوران في المصير ، وسعيد قد قرر السفر ، يقول عبد الخالق « اذهب مشيعا بالعار . اما نحن فباقون بين الرصافة والجسر » .

أما « شريف » فيشارك ، بطريقته ، وفقا لمنهجه في الحياة : « نعم ، نحن باقون بين الرصافة والجسر . ولو ان رأس الجسر مملوء بالشرطة السرية ، ولا عين مهاة واحدة . أقفرت بغداد من الجمال » . وبعد أن يزجره عبد الخالق ، يقول في نفسه : « أهذه ولاية ؟ لو كانت لي فلوس لذهبت الى باريس » .

نحن باقون . وسعيد يهرب في سيارة الى الشام ، لكنه « ركز بصره على شبح أبيه الهزيل » الباقي في العراق . الحل يقوله ابراهيم : « عندما ينفرج الجو ، وتعود الحياة الدمقراطية ، سأصدر جريدة ، وارسل لك برقية لتشتغل كما اشتغلنا في السابق » .

ولم ينفرج الجو فجاة ، ولا بقدرة قادر ، بل انه انفرج بالثورة، بتموز ١٩٥٨ الذي حضر له العراقيون الطيبون جميعا ، من بقي « بين الرصافة والجسر » ، ومن اشتغل بالتدريس وناضل في المنفى في البلدان العربية وسواها ، ومن صوره الكاتب في روايته أو لم يصوره .

والجيل الضائع الذي يرمز لقطاع منه « شريف » الشاعر « البودليري » ، وحميد « معاقر الخمرة » ، يرمز لقطاع اخر منه « سعيد » نفسه ، الكاتب « سريع الجزع ، دائم الشكوى ، لكنها شكوى من يريد أن يمسك « برأس الشليلة » ، شكوى من يقول « ماذا قمت به من عمل جدي حتى الان ؟ ماذا صنعت لجيلي ؟ » وعلى العموم اريد أن أمسك برأس الشليلة ، أن ابدأ » .

وقد جاء الجواب ، على كل هذا القلق والضياع ، كما ارادته الرواية ، على لسان « ابراهيم » الرصين : « انت ما تزال تعيش هذا الجيل ، تعانيه . ربما ستكتب عنه في المستقبل . لا تتعجل الامور » ـ « انت بدات ، ولكنك لا تشعر . عملية الحياة ليست محسوسة جدا . الانسان يكسب تجارب دون أن يدري ، وعندما يجد لحظة للتفكير والاستقرار يندهش من كثرة ما وعت ذاكرته من تجارب » ..

***

لقد قال الكاتب بعض ما أراد أن يقول بصفته ممثلا لجيل ما بعد الحرب . قال ذلك في « النخلة والجيران » ثم قاله في « خمسة أصوات » . افلت الخيط الرئيسي منه ، ولكن خيوطا كثيرة لم تفلت من يديه . لا زالت يده على دفة فنه ، ولا بجدر بنا أن نتشاءم اذا صدمنا باخطاء الذي يبني لاول مرة في ميدان بكر بالنسبة له ، فالمهم هو ما يعد به ، وهو ما يقدمه .

والذي قدمه الكاتب ليس قليلا ، كما سبق أن قلنا ، بالرغم من شيوع الكلمات العامية (بلهجة العراق ، وبعض احياء بغداد بالذات) في كثير من أوصافه ، وبالرغم من الهنات اللغوية (هناء ابنة حميد هي طفلة ولكنها توصف بانها طفل ، على نحو غير مقصود) ، وبالرغم من ان المونولوج الداخلي الذي ينبغي ان يأتي بالفصحى يأتي احيانا بالعامية كان يقول مثقف « راح اسكر » لنفسه ، وبالرغم من عدم توفيق بعض الانتقالات ، وبالرغم من حشر كلمات بالانكليزية (كان ممكنا أن يسوق ترجمتها بالعربية ، مثل تسمية كتاب ، او جملة معينة يقولها ابراهيم لزوجته في معرض تعليمها الانكليزية) ، وبالرغم من اللهاث والتوتر الشديد الذي تحس آثاره فيما يقوله الكاتب أو يضعه على لسان محاوريه واصدقائه الاربعة .

افلح الكاتب في عرضه الشعري ، وفي ايراد التضادات « هل انت مومس ؟ لا ـ انا صبرية » ، وفي لغة الحوار عموما ، وفي عرضه لبعض مشاكل المجتمع من خلال مشاكل بعض مثقفيه ، وافلح في أن رسم لجيله الضائع ، انذاك ، طريقا للخلاص اجتازه هو هاربا ، فيما اجتازه آخرون في الخنادق ، وايديهم على الزناد . أفلح الكاتب ، عموما ، بالرغم من كل المزالق والهنات .

ربما كانت هي ثلاثية ، بداها الكاتب « بالنخلة والجيران) لوحة عن الكادحين في الحرب الثانية ، وبروايتنا هذه لوحة للمثقفين في الخمسينات ، وسيتمها بثالثة تحكي ما بعد تموز .

ربما .. فلننتظر !

موسكو — جليل كمال الدين

الصراع مع النفس ...

بقلم : خضير عبد الامير

اهدى غائب طعمه فرمان روايته الى أصدقائه ، ومن الطبيعي ان هذا الاهداء لم يقتصر على الاصدقاء فقط وانما جاء الى نفسه هو أيضا (الى أصدقائي في صراعهم مع أنفسهم ومع الآخرين) . لقد عبرت هذهالعبارة عن الكثير من المفاهيم في « خمسة أصوات » ، فالصراعات مع النفس تاتي دائما محملة بزخم قوي ، وهو أشد ايلاما من صراعات الانسان مع الآخرين .. فهنا يجد الانسان ردودا شديدة أو مفحمة أو ضحلة ، تبعا لما يحمله الشخص الآخر أو الشخوص الكثيرة من مفاهيم تتفاوت مستوياتها بحكم تفاوت العقل وادراك المنطق ، اما الصراع مع النفس الانسانية فهو الاشد ايلاما .. (حميد) شخصية لها مدلولها الخاص في هذا الصراع ، فهو وان ظهر أول الامر فاترا مفطى بلا اباليه ولا انتماء تكاد أن تكون وجودية ، فهو في صراعه الصحيح مع نفسه بدا واهنا وسقط ذلك السقوط الكبير .. صراع النفس اخذ يكبر ويتضخم كلما توسعت احاسيس (حميد) واخذت تفلسف الامور وتعيدها الى ظروفها القديمة كايام الشباب الاولى وظروف الزواج المبكر وعدم الاعتراف بمسؤوليته ثم الضمان الابوي والعائلي معا ، ولكن حينما بدأ هذا الرجوع الى الوراء بدأ الصراع ذاتيا ثم نما القلق وتحول الى غيرة وأخيرا تحول الى استيلاء كبير على تلك النفس المتصارعة أثناء مناداته على تلك الارواح التي كانت تخشاها زوجته (حليمة) في ذلك البيت العتيق.. صراع (حميد) كما قلت اشد ايلاما لانه مبني على تعاسة الرجل

المثقف المفكر ، واحساسه بهذه التعاسة واضح وان غلف بليالي بلقيس حيث الخمرة الكثيرة التي يهرب اليها . والشخصية الاولى التي تكاد أن تكون مميزة عن بقية الشخوص هي شخصية (سعيد) من خلال معطياته واستقلاله الجزئي عن البقية وهدوئه واتزانه سواء في منزله أو تجواله خارج ذلك المنزل وحتى في ادارة جريدة الناس . فهو المكلف باختصار العرائض وجمع الخلاصات وعرضها في الجريدة ، فمن عمله هذا اكتسب الهدوء والاتزان والاحساس بالمسؤولية . ان الرجل يحس بانه مسؤول عن ازالة الكثير من الآلام ما دام قد ارتضى لنفسه هذه المسؤولية .. فحالما تأتيه الرسالة يهرع الى مكان العنوان مخترقا أزقة كثيرة ملتوية ودروبا غائصة بين منعطفات غريبة . المسؤولية والصراع مع النفس وعذابات كثيرة تركتها في نفسه تربيه بيتية هادئة مبنية على الاحترام والشعور المتبادل .. شخصية (سعيد) لا تجمع تناقضا حادا بين البيت والعمل أو بين السيرة الشخصية ذات الازدواج والتي هي آفة الكثير من مثقفي العصر . شخصية هادئة متبلورة ناصعة علاقتها بالارض علاقة صميمية لم ترتفع عن المحيط ولم تشعر بالانفصال والغربة . ان الناس دائما وراء احاسيسه بآلامهم وشكاواهم الدائمة ايضا وعرائضهم المستمرة الى جريدة الناس . سعيد في صراعه صادق سواء كان هذا الصراع مع نفسه أم مع الآخرين المحيطين به : والده مثلا ، والدته ، حليمة ، حميد ، العرائض ، جريدة الناس .. قيم الطفولة المتمثلة في اللف والدوران في الازقة سواء في شارع غازي والشيخ عمر أو طريق الكاظمية والكاريات . ولما كانت نفسه لا تتحمل غير الصدق وتخشى الاضطهاد والعنف لذلك جاء رحيله معبرا عن احساس الرجل الذي ينظر الى الامور نظرة ذات بعد واحد . ثمة صوت آخر غارق في أخيلة التطبيق بالرغم من بعد السنوات الكثيرة بين عهد وعهد ، الا ان الزمن لم ينصهر ولم يتبدد حتى لكأن الايام تعيد عهد الاقنان وشراء الارواح .. الصوت الآخر صوت الموظف عبد الخالق ، والذي يقضي نهاره داخل غرفة حكومية ، وعندما يخلو مع نفسه تتتابع عليه صور عديدة لشخوص روايات مجالها عالمه وليس ذلك العالم الذي مرت به وكتبت لاجله .. صراعات الرجل مع نفسه تكاد أن تكون ذاتية فقط .. صراع من أجل تحقيق شيء ، كتابة قصة مثلا ، تطبيق فكرة معينة .. عدم الابتعاد عن المثل التي يؤمن بها الانسان ثم صراعه الآخر مع الكأس من أجل تهيئة فكرية وراحة مؤقتة . لقد انتهى عبد الخالق الى المواجهة والصراحة في جميع أعماله ، صراحته مع سعيد ، ثم عزيز فراش الدائرة . شخصية القاص الذي يطالع كثيرا، طغت على شخصية السياسي الذي يؤمن بالالتزام ويعمل من أجل الآخرين . واذا بدا عبد الخالق ثائرا على وضعه وعلى الاقنعة التي يتخفى بها اكثر الناس فهو يجاري الاخرين ويتحدث عن قضايا الانسان الاجتماعية الاخرى .. موظف قولبته حياة الوظيفة ولكنه يفتش عن شيء دائما ، شيء يعيد اليه بعض الحقوق ككاتب . ولكنه كاتب عراقي، ألا يكفي هذا ؟.. ويعود ليعطى لنا من فولكنر ومارسيل بروست وغوغول الشيء الكثير . أما ابراهيم فهو شخصية أخرى أو صوت آخر مكمل الاصوات القابعة في مكتب جريدة الناس . فهو الصحفي الاول والذي حمل على كتفه أعباءها .. غلق الجريدة عنده معناه عدم ايصال أصوات المثقفين الى الناس ، خشيته من الذهاب الى بيت عمه نابعة من تردده تجاه الامور الحاسمة . الارتباط هناك ويعنى به ترك الاصدقاء وسهراتهم ثم الانفراد والانعزال الكلي . شخصية ابراهيم شخصية عامة ليست غريبة ولا جديدة ، شاب مثقف مفكر بعقلية انسان واع مدرك لواقع العصر . ثمة صراعات خفيفة تملأ عليه واقعه احيانا ، وهذا الصراع ناتج عن الوضع الاجتماعي والسياسي معا ثم تخبط الوضع آنذاك وقيام الانتخابات ثم ترشيح نواب جدد وموقف جريدة الناس من كل ذلك ثم موقف الحكومة من الانتخابات والجريدة . أن ابراهيم انسان مجرب لعدة قضايا ، ولكن تجربته الجديدة في الزواج خاضها عن وثوق كلي وثقة عامرة بمستقبل واسع . لقد خطط لكل ذلك وآمن على نفسه في حياة مستقرة ، وما تردده أول الامر الا بداية لهذا التخطيط . ان صراع ابراهيم مع نفسه صراع بسيط ، زواجه بدأ بموافقة والديه ورضائهم وبدأ أيضا يكيف نفسه مداريا بهذا التكييف الزوجة .. مثلا سيكارة الصباح ، أو اخفاء السعال أو بعض العادات السيئة الاخرى على حد تعبيره . ولكن موقفه الاخير في قاعة المحكمة الشرعية أشعره بالقلق ، غير ان الشعور بالبطولة أنساه هذا القلق ، بعكس شريف ذلك الرجل الذي يسحقه القلق .. الصوت الآخر شاعر مهاجر من مدينة صغيرة وجد نفسه هناك بدون شهرة وبين أناس لا يحركهم الا الموت ، ثم بدون جماهير ، فشد الرحال لبغداد ، ولكن المدينة الكبيرة لفته وسحقته أيضا . ان شريف ثائر على كل شيء ، فهو العبقري وبودلير العصر ، وثورته هذه تشمل حتى عمود الشعر ايضا، ان هذه الثورة المستمرة أوجدته أمام تناقضات حياتية حادة ، فهو أمام الفقر وجها لوجه وأمام التسكع أيضا . الشاعر البودليري الثائر على الآخرين المحطم لعمود الشعر على حد تعبيره ، والعشيق الاثير لدى احدى الفنانات . حياة مزدوجة ، حياة الحلم والتمني وحياة الادقاع هي التي أوجدت التناقض الواضح في شخصية شريف، ولكن هذا الادقاع يدفعه لاحضان صبرية والاكل ثم الشرب على حسابها . ان الرجل لا يخلو من نوازع ذاتية لحياة الطفولة والمراهقة كتطلعه من شرفة سطح الجريدة لجارتهم الارملة ، أو متابعة طالبة الطب في باص المصلحة .. ولكن هذه الشخصية نشاهدها عارية في صراعها مع النفس ومع الاخرين .. بالرغم من الظاهر المغلف بالمرح ، الا ان النفس دامية تنتابها شتى الفكر ذات التحول المنهجي لحياة الشاعر ومع الاخرين ، وهو يبدو ثائرا أبدا أمام كل زيف وأمام كل عتيق مكرر ممجوج ، مثلا مع الصديق طالب الطب ثم مع والده ، أن موضع القدم في هذه المدينة صعب وصعب جدا أمام الانسان المجرد الا من روح ثائرة ونفس شاعري .

ان الشخصيات الخمس في رواية غائب طعمة فرمان تتفاعل

في الاسواق

قصة الحرب القذرة ...

في فيتنام !

اقرأها في رواية الروائي الاسترالي الشهير

موريست وست

السفير

كما يقصها سفير اميركي عين في سايغون ، فعاش مؤامرات المخابرات السرية الاميركية مع عدد من الجنرالات المتآمرين ، وخرج بمأساة شخصية تجسدت في صراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ...

ترجمها : نزيه الحكيم

منشورات دار الآداب

مع نفسها في الليل أمام قناني العرق وفي النهار تجد نفسها عارية وجها لوجه مع شخوص كثيرة : حميد وسلمى ، سعيد وحليمة ، شريف وفتاة الطب ، ابراهيم وابنة العم ، عبد الخالق والمفاهيم المطروحة وجها لوجه وهكذا .. ان الرواية تعطي لكل شخصية وجها ، ومع هذا الوجه يتفاعل الشكل العام أيضا ، أي ان الشكل عند غائب يتفاعل مع مضمون الرواية وشخصياتها . ان سعيد مثلا شخصية هادئة ، ونحن نرى أسلوب التحدث أيضا يصاحب هدوء الشخصية . وان شريف بمفارقاته يتفاعل أيضا ، فيعطينا المؤلف نفس كلام الشخصية الاصيلة للظل المبرقع شريف . لقد أحب غائب أزقة بغداد وخاصة تلك الازقة المحيطة بمحلته ومدرسته الاولى ، فهو يصف تلك الدروب بوعي كبير وبصورة فنية عالية ، ويكاد القارىء العارف لتلك الدروب بأن يتخيلها أمامه عطفة بعطفة .

وثمة ملاحظتان حول شخصية شريف الاولى حينما تبع الفتاة : نومه في داخل السيارة جاء مفتعلا ثم وقوعه في المرة الثانية جاء تأكيدا على الافتعال . والشيء الذي نستطيع أن نقوله ان البطل في « خمسة أصوات » ما هو الا سعيد ، فشخصية سعيد هي شخصية المؤلف ولذلك نراها واسعة وتعطينا الصور الاكثر تعبيرا والاكثر شمولا عند التحدث . ان بروز الشخصية من حيث الذكريات القديمه لايام الطفولة والتحديد المكاني الواضح لمسيرة سعيد اليومية . ثمة اشياء تذكرنا بغوركي في بعض الاوصاف (مثلا ، أسكت يا دودة المدينة الغريبة) . ويعيد كذلك الى الاذهان بدايات نيقولا غوغول في « الارواح الميتة » .

ان « خمسة أصوات » طفرة كبيرة بالنسبة لغائب طعمة فرمان ، فمحدوديته الاولى في « حصيد الرحى » وقصصه القصيرة في « مولود آخر » ثم روايته « النخلة والجيران » ، تناقضها تصاعدية « خمسة أصوات » . وثمة فأل طيب للرواية العراقية أيضا مع نتاج عدد من الكتاب الشباب خلال السنتين القادمتين .

بغداد — خضير عبد الامير

بين الشخصية والتاريخ

بقلم : ياسين النصير

تميز جيل فؤاد التكرلي وعبد الملك نوري وزنون أيوب وعبد المجيد لطفي وغائب طعمة فرمان وشاكر خصباك ، وهم الجيل الثاني من كتاب القصة في العراق ، بظاهرة التحول الايديولوجي في معالجة قضاياهم الادبية مستندين على الفكر التقدمي كأساس كامن في الانسان .

والمتتبع لنشاطات هذا الجيل يراها قد قلت كثيرا بعد أن انحسر البعض بفعل ظروف اجتماعية معينة ، واغترب البعض الاخر ، بينما تحول بعضهم الى المسرح منقبا فيه عن أشياء جديدة ملائمة بعد أن عجزت القصة لديه عن التطور . ورغم ذلك كله لا زال هذا الجيل هو المعول عليه في كتابة الرواية والاقصوصة ، فلم يظفر العراق بعدهم بقاص ذكي يملأ الفراغ . وحتى لا نوصم بالتخلف والغموض على يد الجيل الثالث الشاب ، يواصل غائب طعمة فرمان مدنا بالنتاج الروائي الجيد فكانت قصته « النخلة والجيران » والتي صدرت قبل سنتين حدثا فنيا رائعا اعتبر مرحلة جديدة في القصة العربية لما امتازت به من تحديد وتخطيط للوضع الاجتماعي في زمن الحرب العالمية الثانية ، مصورا من خلالها معاناة جماعية للشعب تخللها صراع فكري نشأ كضرورة حتمية للحرب امتدت خلاله حتى الان .

وتأتي « خمسة أصوات » الرواية الثانية لغائب امتدادا ايديولوجيا « للنخلة والجيران » ومكملة لمرحلة تاريخية في حياة العراق مما جعلها تظفر بزخم ثوري امتد في الروايتين الى الثلاثين سنة ، اذ تقع « خمسة أصوات » في الخمسينات وتتكاثف في ١٩٥٦ – ١٩٥٧ . وقد صاحب هذه الفترة تحولات سياسية عالمية ومحلية كان أشهرها قضية السويس . ومعايشتها لهذه الفترة ليست تسجيلا وانما حضورها وعي ووجود لمسنا من خلال تطلعات أبطالهما العمق الثوري لانسان القرن العشرين ، بينما كان انسان « النخلة والجيران » منساقا لواقعه يستسلم لضغوط الحرب وما تفعله ، فهو غير واع تماما لما يجري أمامه ، مرغم على مصاهرته ، وقد كان بحث شخوصها منصبا على ايجاد مأوى . أما في « خمسة أصوات » فالابطال واعون لواقعهم ومثقفون بايديولوجية معينة وملتزمون بقضايا شعبهم ، مما جعل المؤلف في هذه الرواية يقيس أفكار الانسان المولود زمن الحرب العالمية الثانية وما قبلها من خلال أحداث سياسية هي بحد ذاتها من مخلفات الحرب أيضا .

وليس غائب طعمة فرمان وحده من يلتزم صياغة الانسان الثوري من خلال أحداث التاريخ ، بل ان نجيب محفوظ يعتبر رائدا في هذا الاتجاه ، وروايته الثلاثية قاست بعمق انسان مصر خلال أحداثه السياسية وما بلوره من اتجاه واضح عند كمال عبد الجواد في صياغة حياته الممزوجة بين العلم والايمان ، لكن نجيب محفوظ استمر في متابعة كمال عبد الجواد فجاءت « اللص والكلاب » تجسيدا للوضعية الاجتماعية والفروق الفكرية عند بطلها ، مما ساعد في تكوين أساس مادي في رعاية الثورة للمجتمع ، ثم جاءت « السمان والخريف » تعالج نقطة أبعد من « اللص والكلاب » اعتبرت امتدادا لطلعات كمال الفلسفية . ولكننا في « الطريق » نجد بحثا دائما عن أسلوب جديد يكمل أسلوب كمال الذي انتهى به الى التشكك في العلم والايمان الديني . وفي كل هذه القصص لم يستطع نجيب تحريك كمال عبد الجواد عن مكانه أبعد مما في الثلاثية . ولكنه لم ييأس بل بحث في نفسيته محاولا استكمال الصورة من الداخل فكانت « الشحاذ » أسلوبا فكريا ومنهجا جديدا للبحث عن السلوك الفردي في الانسان ، معتمدا في ذلك على نوازعه الذاتية وخصائصه النفسية . لقد استطاعت هذه الرواية أن تحلق في دواخل النفس البشرية ولكنها لم تعط تفسيرا للانسان التاريخي الذي خلفته الثلاثية . وتكمل « الشحاذ » قصة « ثرثرة فوق النيل » في بحثها الدائب عن السلوك الفردي والجماعي والضياع والعبث وسط نموذج رافض للقيم الاجتماعية . ولما لم يجد نجيب ما فتش عنه في رواياته هذه أعاد الكرة الى الواقع والى التاريخ في « ميرامار » ، ثم عاد معه كمال عبد الجواد بعد أن أمضى سنين طويلة في الصحافة والاحزاب والمعرفة الدقيقة بالوفد والاخوان والشيوعيين ، عاد هذا البطل باسم « عامر وجدي » ثم جعله محررا يائسا مر بشخصيات شابة محملة بأفكار العصر الحديث من الشيوعية والاشتراكية واللامبدئية ، ثم انتهى بنا الى اعادة النظر في قيادتنا الحاضرة المتمثلة بسرحان البحيري والمنتفع من مكانه في الاتحاد الاشتراكي الى الرجوع لقيادة عامر وجدي والمحمل بمعطيات الوفد والاخوان والصحافة القديمة والازهر .

واذا كان نجيب محفوظ قد استغرق في تفسير الانسان التاريخي مسافة ست روايات تخللها رؤى جديدة مما في الرواية العالمية والتي زحفت على ارضنا بدون أصالة ، نجد أن هذه الروايات الست واحدة لو جردت من تطلعات الادب التقليدي والحوشيات التي تحيط باجواء أبطالها . أما غائب طعمة فرمان فيجمع ما طرحه نجيب في الروايات الست في « خمسة أصوات » مع الفارق في التوسع الشكلي والمنطلق الفكري عند أبطال كل منهما . فما لمحناه من مباشرة وتخطيط للواقع في « ميرامار » نجد ان لهذا التخطيط شكله الجديد في « خمسة أصوات » . فنجيب يضع الانسان وحده في بيئة ، ومن ثم يخرجه شيئا جديدا ، وتلك صناعة لمحناها في « اللص

والكلاب » و « السمان والخريف » و « الشحاذ » و « الثرثرة » ، بينما غائب يضع الانسان الشيء أولا في نفس البيئة ولكن النتاج ليس تحولا ايديولوجيا ، بل ان هذه البيئة هي التي تتحول . وهذا ما اتضح في مسيرة أبطال « خمسة أصوات » : كل يدور في فلك الواقع ، وكل له غايات معينة ، وفيهم جميعا تجسدت مشكلة الانسان العراقي المشغول بايديولوجية العصر . ولم نلمح لغير المشغول مجالا فيها . وتاريخهم يسير من خلالهم ، وهم حاصل منوع لهذا التاريخ الذي ابتدأ في الحرب العالمية الثانية . ويرجع السبب في ذلك الى ان هذا الواقع ليس باستطاعتهم تبديله أو تجميده ، كما انهم ليسوا بقادرين أن يحيوا غيره ، انه واقع مفروض عليهم . كل صوت يحمل عبئه وكل صوت يلتقي بالآخر من خلال أعباء المجتمع ، والرواية بذلك خالية من حدث مركز واضح المعالم كل مقطع فيها يمثل قصة قصيرة والامتداد الذي يربط هذه المقاطع هو امتداد نفسي وايديولوجي . ويتعمد الكاتب من وراء ذلك الغاء التشويق والترقب والاستمتاع العاطفي ، بل اننا نطمئن الى اتجاهاتهم الفكرية من أول الصفحات ، عندئذ تسير الرواية ونحن نعلم مسبقا أهداف كل منهم ووجهات نظرهم الى الاحداث السياسية التي طرحت في تلك الفترة على النطاق الشخصي والجماهيري ، ومنها قضية الجبهة الوطنية والتوقيع عليها في أواخر ١٩٥٦ ، ثم خوض هذه الجبهة للانتخابات . وهكذا لمحنا تاريخينا السياسي والفكري من خلال خمس شخصيات أعطى كل واحد منهم زاوية معينة من انساننا عبر هذه الفترة . وبذلك يكسب غائب الاولوية بين كتاب القصة المحدثين عندما عاد بنا الى تاريخ بلدنا ليشعرنا بالمواطنة الواعية من خلاله أكثر من كوننا مواطنين فيه .

قدم غائب موضوعه الشامل بشكل درامي عندما وزع أحداثا عديدة على شخصيات عديدة أيضا ، ثم امتزجت هذه الاحداث وهذه الشخصيات بالوضع السياسي للبلد مما يجعل الرواية تنساق للتقريرية في السرد الواقعي للاحداث ، وهذه التقريرية وجدناها أيضا في لغة « النخلة والجيران » ، ورغم خلو الرواية من الصنعة والتكلف ، فان لغته تجيء مع المستوى الفكري لها ، تخلل نسيجها الشعري حوار عامي وأحيانا لهجة مصرية سايرت في كل حالاتها واقع الشخصية النفسي ، فاستطعنا من خلال لغة الشخصيات أن نجد الروح العاطفية اللاهبة عند شريف ، والمصطنعة عند حميد ، والجادة الصارمة عند عبد الخالق ، والمشبعة بالامل والعقيدة عند ابراهيم ، والعاملة بجد عند سعيد ، كل ذلك ساعد في استساغة توزيعها الدرامي ، كما أن تحدث الشخصيات تباعا في الرواية فرضه انسياق الحدث ومكانة الشخصية الفكرية . فقد تكلم سعيد مثلا اثنتي عشرة مرة بينما تساوى الثاني والرابع بخمس مرات ، وكان الثالث سبع مرات ، والخامس ست مرات . وهذا التفاوت الشكلي تابع لتفاوتهم الفكري والتصاقهم بواقع القضية ، وبالتالي وجودهم كحقائق ثورية في أرض تعودت على الاحداث .

وتنسحب « الاصوات الخمسة » على فئة المثقفين وياتي انسحابها هذا مفروضا في أحايين كثيرة ، فهم كما قلنا يمثلون الانسان العراقي المشغول دائما بقضايا المجتمع . ونلمح ذلك جليا في انطلاقاتهم ، فابراهيم مثلا يعيش الحياة بوعي تام ، لذا فمشكلة المثقفين لست القراءة بل معرفة الحياة » وتتجسد هذه المعرفة عند سعيد بالمشاركة الفعلية لمآسي الناس « لماذا تختلف المآسي حين نكتب القصص ولا نستمع لمآسي الناس الحقيقية ، فكلنا يريد ان يكتب عنها بينما نعيش بعيدا منها » . وتتوسع المطالبة عند عبد الخالق بحيرة أعمق ، والحياة في نظره ليست بالاستماع أو المشاركة بل « يجب أن تعرفها على حقيقتها ، تعيش في أعماقها وتعرف موقعك منها » . ويجد شريف في متابعة الحياة الاجتماعية كشفا للذات ، ففي كل عمل يسأل نفسه : « لماذا لا أسجل نفسي على حقيقتها ؟ » لذلك يلقي بكامل ثقله في اتجاهه . وبدين حميد كل المثقفين ، يصفهم « بانهم مصابون بالذبحة الصدرية » لانهم لم يغوروا في واقعهم همهم انفسهم لذلك كان منجها بكل امكاناته لغرض معين .

وهكذا كان نزول هؤلاء الخمسة الى الحياة منقبين عن مساوئها ومؤملين بخيراتها ، فمارسوا الكتابة بشكل عرض لمشاكل الناس او مقال افتتاحي في جريدة « الناس » او قصة يكتبها عبد الخالق تصور جانبا من الواقع او قصيدة غزلية يلمح فيها بوادر الثورة . ولما كانت مشاكل المجتمع من الركود بحيث لا تهزها امثال تلك الكتابات فان حضورهم يعد ناقصا ، ولكن رسالة تصل الى سعيد تشعل فتيل الثورة فيه « كنت اتصور الكتاب اشجع من هذا ، انتم تسبون الوزراء والحكومة في الجرائد ولكنكم تخافون ان تدقوا باب مستفيث » وعندما يطرق سعيد ذلك الباب يكون المستفيث زوجة صديقه . وهكذا بدأت المأساة في الرواية من تحت قدمي سعيد . وصديقه هذا يترك زوجة واطفالا يموتون تباعا وهم في حالة من الفقر والاهمال ، وعندما يصارحه يكون حميد مستفيثا آخر ، يحيا على الامل ويتوسد الغد ، لا يحب البرمجة ، والمستقبل لديه جميل لانه غير معروف وزواجه كان عفويا ، وما دام يحيا حياة واحدة « يريدها طافحة الى الحافة بكل شيء » يشبه حياته مثل « حكايات الف ليلة وليلة لا تنتهي ابدا » بينما يترك

رأي آخر ...

عزيزي الاستاذ غائب طعمه فرمان

تحية طيبة وبعد فقد فرغت الان من قراءة روايتك « خمسة أصوات » ، واستطيع أن أقول منذ الان انها رواية تثير الاهتمام اجمالا ، بالرغم من أنها في رأيي تفتقد اللحمة والحدث الرابط ، اي الحبكة الفنية التي تقود الوقائع وتشدها فيما بينها . صحيح ان ابطالها يعيشون في أجواء متقاربة ، ولكل منهم شخصيته المتميزة ولكنهم غير مسوقين بقانون « الضرورة » الذي يجعل واحدهم لا غنى عنه في مساق الرواية . ولا ريب في انك قد قصدت الى تصوير جو الضياع والضجر واللاتشيؤ في عهد نوري السعيد السابق ، ولكن هذا الجو يبقى « فضفاضا » لا يبشر أو لا ينذر بما سوف يتمخض عنه من ثورة ١٤ يوليو ، وبمعنى اخر فان هؤلاء الابطال لا يمنحون القارىء قناعة بان تلك الثورة ستقوم على أيديهم أو أيدي أمثالهم . وحتى خاتمة الرواية التي تصور سفر سعيد (وهو أكثر الشخصيات جاذبية روائية) تعجز عن الارهاص بما يفلي به ضمير الانسان العراقي في تلك الفترة ، فالسفر بحد ذاته هروب من المسؤولية وابتعاد عن أرض المعركة كما يقول أحد الخمسة في فصل اخير .. اذن ، هل غاية الرواية الوحيدة تصوير الجو من غير تحميله نذرا مقنعة بقرب التغير ؟ هذه المشكلات غير متجسدة بأحداث ووقائع يمكن ، اذا تطورت ، أن تؤدي الى التمرد أو الثورة . ولا أحسب معالجتها في جريدة ، مهما بلغ اخلاص الذين يعالجونها ، بكافية للاقناع.

واذن ، فان « معنى » الرواية يبقى محدودا جدا ، ويفتقر الى « الهدف » الذي يجعل الرواية ، كل رواية ، محملة ببذور الثقل والاهمية . الا اذا كنت تعتبر « خمسة أصوات » جزءا من رواية طويلة ليست هي الا مقدمتها .

بعد هذه الملاحظة ، أرى ان الرواية تتمتع بمزايا طيبة ، منها التجديد في التكنيك الروائي (الغاء الفصول المسلسلة والاستعاضة عنها بصور مرتبطة بكل شخصية من الشخصيات الخمس ، والحوار الحي والابتعاد عن الروح التعليمية وتصوير جو الشباب العراقي تصويرا نابضا . وقد كنت أود لو انك أوليت اللغة فيها عناية كبرى .

سهيل ادريس

من رسالة خاصة

زوجة نهبا لاعين الاخرين وموضوعا للكتابة في الجرائد . ويترك أطفالا يموتون تباعا . وهو مع ذلك يشارك الجماعة احاديثهم السياسية لكنه لا يعيشها بوعي ، يدفعه في ذلك حب ابتدأ مع موظفة في البنك ، لذا يريد أن يبدأ من جديد بعد ان دفنته حياته السابقة حيا ، يجد في حادثة الفيضان خلاصا له وبداية جديدة « ليت الفيضان يجتاح الضريح الذي دفنت فيه حيا ويطفىء تلك الشمعة التي تاكل قلبي فأبدأ بداية جديدة » .

يطلق زوجته متهما سعيد بما وصل اليه ثم يعرض على زميلة له في البنك الزواج فترفض ، يضيع بعدها بين اليأس والتشرد مداويا جراحه بالمخمرة ، وعندما تطرح القضايا السياسية لا يعيرها اهمية ، فقضاياه قد استولت عليه واضاعت الفرصة للمشاركة رغم انه مثقف ديمقراطي . فلم يترك له الواقع مجالا للمشاركة ينتهي بعدها الى الضياع والادانة ، يرى كل شيء يتهمه وينظر اليه بازدراء « في الليل عندما يستيقظ كان يتخيل الاشياء كائنات حية ، تنظر اليه بازدراء ، تعاديه . كل الاشياء تعاديه لسبب ولغير سبب . المهد الخشبي والتنكة والطوفة وحائط الجيران والسطح ... » .

وتتم مواجهة شريف للواقع من زاوية قريبة من حميد لكنه يتخذ المرأة محورا اماميا لطرح مفاهيم ثورية منها بعد أن لمحنا التعدد في جبهات ثورته فهو « ثائر على جيل ، جيل يعني مفاهيم ، يعني ناسا ، خلقا ، يعني تصورات خاطئة جيفا بالية ، عمودا شعريا » وبالفعل فهو ثائر غريب يرفض كل تصورات الماضي يعيش يومه فقط ويبني افكاره على ثورة جديدة تقوض اركان الجيل القديم لافتقار هذا الجيل الى الفلاسفة وانشغالهم بكثرة الاعمال ، كل شيء في نظره مدان وكل ما يوجد مبني على خطأ وهو وحده من يعي ذلك « كانت لامنا « حياة » جمع من البنين والبنات ، كان لها ولد اسمه « مال » واخر « غباء » وثالث « رياء » وبنت اسمها « وصولية » واخرى «لصوصية» وثالثة « خيانة » وكانت تقول لي يا « شريف » اذهب الى الجوع والتشرد . انا اكرهك ... » وتتضح حياته امامنا بصورتها العارية المكشوفة وهي منطلق كل المثقفين الواعين والملتزمين قضايا شعبهم . وما دام الواقع لا يتغير من قصيدة او قصة فانه يعيش حياته الخاصة مع ثبوت نظرته للمستقبل المضيء فيلتجيء انى المرأة ايضا كانسب مكان يفرغ فيه قصائده البودليرية ، ينتقل من مومس الى اخرى ، وعندما يحب طالبة في كلية الطب يخلص لها ملقيا بكل فكره نحوها ، وعندما تتزوج هذه الطالبة يقف معيدا النظر في سلوكه ، فالمرأة لديه مشكلة « وكلما تصور انه أوشك على فهمها تكورت أمامه كاللغز » حتى ان حادثة الفيضان لم تهزه وحوادث البلد السياسية لم تكن لديه الا تساؤلا ساذجا « يا اخي شلون شعب ، كل عمره في السياسة جائع ومريض ويهتم بفواتيمالا » واذ لا يوجد من يهتم بمشاكله ومحنه ، لا يهتم هو الآخر بمشاكلهم « لا انظر للناس في محنتهم ما داموا لا ينظرون قط في محنتي » وهكذا ضاع شريف هو الآخر بين السلب الفكري وقضايا الواقع ورغم ذلك فالحكام ينظرون اليه كمشبوه . وعندما تقلق جريدة « الناس » التي ينام في سطح بنايتها يتشرد من جديد الى فنادق الدرجة الرابعة معللا كل ذلك بانه يحضر العالم حضورا وجدانيا « المهم ان تحضر العالم حضورا وجدانيا وفكريا ولو كنت متشردا » ومع ذلك تبدو حياة هذا المتشرد اكثر وعيا من زميله السابق .

واذا كان حميد قد انهار بسبب المرأة ، فان شريف تشرد لانه حاول ان يفهمها ، ويكون ابراهيم اكثر التصاقا بها . فبالاضافة الى انه يحمل افكارا ديمقراطية وآراء سياسية طرحت زمن الحرب العالمية الثانية الا انه يخضع لظروف عائلية وقيود صارمة تحدد ارادته ومسيرته « اريد ان اشتم واري واختار وتكون لي ارادة » وعلى نطاق المجتمع يكون مديرا لجريدة « الناس » يواجه مشاكلهم ويساهم في حلها كما يطرح قضايا سياسية غاية في الثورية ، لكن كل ذلك يتسم بليونة ، معللا ذلك بالامل والمستقبل . ورغم انه رئيس تحرير الجريدة والمسؤول الفعال فيها والذي يناضل بواسطتها ضد « سالبي الاصوات والاصوات القديمة » نجده لا يتحرك من مكانه ولا يشارك الآخرين الا في أقواله . ونلمح ذلك في ضعفه النفسي والعائلي « طوال حياتي أعيش في غرفة خالية الا من أنفاسي ، وستظل المرأة عندي جسدا يؤجر وقلبا لا يعترف بوجودي » . وعندما يتزوج ينشغل كليا ، وتصبح معرفة الحياة لديه سهلة وميسرة ، فقد أغناه الزواج عن مشاركة الآخرين قضاياهم والشعب محنه . وعندما يجرف الفيضان وزارة الجمالي نرى ابراهيم يغور في الامل بل ويصبح ديدنه الفعال « ستستقيل وزارة الجمالي عن قريب . ولا مناص من أن يوافقوا على اجراء انتخابات جديدة وستنتصر القوى الديمقراطية وسيشرق عهد جديد ، وسأستفر أنا وسنصدر مجلة أدبية ... » . وعندما تجري الانتخابات يدخل في صراع مع والده : « هل تعتقدون انهم سيتركونكم تدخلون المجلس ؟ » . ويجيب ابراهيم بأعصاب باردة : « اذا أراد الشعب » . ولكن الوالد يستدرك بخبرة المتمرس : « مجلس النواب بيتهم بنوه بأنفسهم ويدعون غريبا من غير جماعتهم يدخله . هذه خدعة ، هذا شكل ولكن الجوهر لم يتغير » .

وتتحدد ثورية هذا المثقف من منطلقه الايديولوجي المؤمن بالامل كأساس لتكوين العقيدة ، أو قل ان عقيدته تعتمد على الامل السلبي ، « اذا فقد الانسان عقيدته فقد أمله والعكس صحيح أيضا » . وعندما يعطل نوري السعيد مجلس النواب وتغلق جريدة « الناس » يأمل ابراهيم مزاولة مهنة المحاماة وصوت والده يقوض أركان أمله السابق : « ألم أقل لك هذا ، ولا يقبلون أحدا بأن يدخل فيه » يقصد مجلس النواب . وعندما يسافر سعيد الى خارج العراق نجد ابراهيم يعده بالامل أيضا « عندما ينفرج الجو ، وتعود الحياة الديمقراطية ، سأصدر جريدة وأرسل لك برقية كما اشتغلنا في السابق » .

أما عبد الخالق فهو أكثر وعيا وفهما لواقعه ، يعي مسؤولية الحياة ويجد في عمله عقبة في معايشة هذه الحياة « أحس بانني أعيش حياة مستعارة مزيفة وأقوم بأعمال اجبارية مأجورة لا أجد لذة فيها ، وأحس بالغربة في بيتي ولا أملك ركني الخاص وأعيش أياما بلا تاريخ ومع ذلك لا أستسلم لليأس » . وتنكشف من أولى الصفحات حقيقة هذا المثقف الثوري ، فما حوله يشعره بالهوان وحريته محددة بالروتين . يشعر من وراء ذلك كله بالغربة ومع رفاقه الاربعة « ليست لي دنيا ، أنا غريب بينكم » . وهكذا فالحياة لديه ليست عملا يؤديه ولا واجبا يقوم به بل هي الغوص في أعماق الناس ، متفحصا اياهم بعيني جاسوس يفتش عن بؤسهم ويقتات من أفكارهم ويصبح بعدئذ وجوده مكملا لوجودهم وصوته « صوتا في لحن جماعي » .

يعلق آمالا على المرأة : يريدها جامعة بين الثقافة والجمال ، وعندما يستدعي فراش الدائرة عزيز يقول له عن المرأة : « انها كالمرآة ويجب عدم الجلوس معها كل يوم » . والمرأة عند صديقه حميد لذة ومتعة وسفرة يومية ، بينما تكون عند شريف لغزا وأسلوبا ومنهجا في الحياة وفي نظره لا تختلف عن الكاتب « كلاهما يتحمل أقسى ظلم في المجتمع » ، وتبقى لديه لغزا ، يراها كل يوم ولا يعرفها بعمق ، يهرب منها ويضاجعها ، يجدها دائما كالنعجة تساق الى الذبح « أنا لا أعرف عن المرأة وهي شريكتي في المحنة ، ففي كل صورها أشبه بنعجة تساق الى الذبح » .

يرى في الفيضان بوادر الثورة الجديدة ورغم كونه كارثة الا انه اختبار عملي لقوى الشعب « كارثة الفيضان أدت مفعولها على أية حال ، جرفت الجمالي مخنوقا بحيل مشاريعه الثنائية » . وعندما يشكل نوري السعيد الوزارة الجديدة يعمد الى اجراء انتخابات جديدة تغطية للوضع المتدهور . ترشح الجبهة في هذه الانتخابات وتفوز باثني عشر صوتا كانوا كالائمة بالنسبة لعبد الخالق ، ثم سرعان ما يتلاشى أمله في ذلك . يصدر نوري السعيد أمرا بتعطيل المجلس

النيابي وبيانا بتطهير جهاز الدولة من المشبوهين ، ويكون عبد الخالق ضمن المشبوهين فيتلاشى أمله في الثورة ، ويرى ان تحرك الناس في حادثة الفيضان ما هو الا صورة شكلية ، وهم في كل الامور قعود « أنظر الى العراق كيف تدهور لم تهزه حركتان جبارتان واستسلم خائرا لنوري السعيد » . ويمر العراق وقتها في فقر واهمال وتحد ، ويسلط نوري السعيد ظله بقوة السلاح وتكثر في البلد الرشوة والاعتقال وتقترب الاوضاع الى التدهور ويصبح العراق كروسيا قبل مائة عام عندما كتب غوغول « الارواح الميتة » ، وكيف كان بطلها تشيتشيكوف يشتري الاقنان الميتين ليستلف بهم من الحكومة . وتراود عبد الخالق الفكرة ويؤيدها سعيد ...

والمهم في حياة هذا المثقف الثوري هو ايجابيته في العمل . حركته ليست عفوية كما انها غير مخططة ، بل كانت هناك فرصة فاشترك بها « دون أن يعرف ما هو التاريخ » ولعلها تنطبق على الكثير من مثقفينا في تلك الفترة .

وتتكامل صورة المثقف والمفكر والعامل في شخصية سعيد ، فهو دائما مشغول بقضايا الشعب يعيش جيله ويحلل أزماته ويرتبط بالمجتمع ارتباطا رحميا « وجدت نفسي مرتبطا بهم من حيث لا أدري » وارتباطه هذا مبني على أرضية فكرية صلدة « في نهاية الحرب طرحت اراء ومذاهب كثيرة ، وكان علي أن أختار ، والاراء الاولى التي عرفتها في نهاية الحرب وما بعدها ما تزال الاراء السياسية عندي » . تجسدت هذه الاراء في كتاباته الصحفية وعرضه لمشاكل الناس ثم الاندماج العملي في حل هذه المشاكل ، وعندما تصله رسالة من امرأة تدعوه الى المجيء يعتبرها « فرصة لمعرفة الحياة » عن قرب . وتكون هذه المرأة زوجة صديقه حميد ، وعندما يكاشفه بكل اوضاعه يتهمه حميد بالتواطؤ مع ستار في طلاقها . ويدلنا تيار الوعي لديه بأن حياته سلسلة من المشاركة الفعلية لقضايا المجتمع . فقد سيق للسجن وحوكم ، كما ان وجوده محررا في جريدة « الناس » كان بمثابة المعين للسجناء السياسيين ليوصل صوتهم للسلطة ، والده المريض ومستشفى الحميات ، ومن وراء ذلك كله ينظر اليه الحكام كمشبوه وما يود قراءته ممنوعا « محنتي هي انني مهدد دائما . وأعيش ثقافيا على ما يرسمه الآخرون لي وأحاط بالممنوعات والحكام ينظرون الي كمشبوه » .

وتكمل الصورة لدى سعيد في حادثة الفيضان . يطير في طيارة اميركية وتصبح بغداد مستباحة للاميركان . يجد في ذلك مأساة حقيقية لوجوده : اميركا والفيضان وشبح نوري السعيد ، بالاضافة الى التدهور العام في الحياة الاقتصادية والاجتماعية . يحس سعيد كل ذلك بألم المثقف ، وعندما تغلق الجريدة يتسكع في شوارع بغداد ثم يقرر السفر خارج العراق للتدريس في سوريا بعد أن أصبحت حياته لا معنى لها : « انهزمت ؟ كان حريا بك أن تتشبث في أرض المعركة . كان حريا بك أن تفخر بأنك من الجيل الذي فتح عيونه على قيم وأفكار ، وقيمتك في الثبات على فكرتك ... لماذا تهرب »

هؤلاء هم الخمسة الذين اختارهم غائب ليكونوا روايته الجديدة . فهم مختلفو الابعاد ومتنوعو الاتجاهات ، كل منهم يطرق جانبا وكل منهم يضع حياته رهن منطلق . لقد ترك هؤلاء الخمسة بصماتهم على أرض العراق كما يتركها عادة كل ثوري .

والرواية بعد ذلك كله ليست وثيقة سياسية لكون شخصياتها حقيقية ، بل ان اهتمامها مركز على ما انشغل به الانسان العراقي عبر مئات السنين من التراث السياسي والفكري . والحقيقة اننا أمام كاتب واع ومدرك رغم الغربة التي يتمتع بها .

البصرة — **ياسين النصير**

اقتراح دولة فلسطين

وما دار حوله من مناقشات

بقلم المفكر العربي الكبير الاستاذ

احمد بهاء الدين

القضية الاولى التي تستأثر اليوم باهتمام القادة والسياسيين والمفكرين العرب . والاقتراح ، كما يقول المؤلف ، ليس أكثر من « المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، الى الوجود والى مكان الطليعة في هذه القضية بالذات . » ويضم الكتاب أهم المناقشات التي دارت حول الاقتراح وشارك فيها طائفة من كبار المفكرين العرب .

صدر حديثا — الثمن ٢٠٠ ق٠ ل